# قد تكون أو لا تكون

تأليف: أسماء أحمد

تدقيق لغوي: هبة ناصر

تصميم الغلاف: هبة ناصر

# المقدمة

قد تحرم نفسك من أقل حقوقها، لماذا؟ لأنك تريد الدنيا فقط، تحدد أهدافاً أمامك وتنسى أو تتناسى نفسك وما تحتاج إليه من حب ودفئ، تقضي الوقت غارقاً في بحر الحياة ومع ذلك لم تلتفت يوماً لجمال هذا البحر، تشرق الشمس وبدلاً من أن تستمتع بدفء شروقها تأخذك الدنيا إلى عالم من العمل فلا تجد وقتاً حتى لنفسك، فأين أنت من جمال الخالق؟ ألا تشتاق إلى التأمل؟ ألم يتعب قلبك من فراغٍ يبتلعه؟، دعك من هذا كله.. ألا تحتاج لبعض الحب ليزهر قلبك من جديد؟ إذاً أخبرني أين أنت ممن تحب؟، أمهتم أنت بأصغر تفاصيلهم أم أن الدنيا وضعت حجاباً على عينك وعلى قلبك فأصبحت لا تبصر ولا تشعر؟، إن كنت بحاجة إلى إجابه هذه الأسئلة أو حتى إن لم تعجبك إجاباتك، فاترك الأمر لي وابدأ القراءة بقلبك قبل لسانك.

# إهداء

إهداء إلى كل نفسٍ تحتاج إلى الحب والدفء..

إهداء إلى كل نفسٍ تحتاج إلى بعض التأمل والتفكر..

إهداء إلى عائلتي وصديقاتي وإلى كل من ملأ حياتي حباً وسعادةً..

نبضات قلبٍ لا تتوقف، أنفاس تكاد تنقطع، وأقدام لا تقوى على مواصلة السير، علي أن أتوقف لأقوى على المواصلة ولكن يجب أن أبتعد أكثر وأكثر، فأنتم لا تعرفون ما عانيت ولا ما رأيت لأقرر الهرب وأصل إلى حالتي هذه...

كنت أميرةً من أميرات هذا العالم؛ ليس بكثرة المال ولا القصور بل أميرة في عيني أمي وأبي، أميرة في بيت صغير وسط القرية، أميرة تلهو هنا وهناك.. تمازح الأصدقاء، وتلقي التحية على الجيران، لم تفارق الابتسامة ثغرها، ولكن لا شيء يدوم في هذه الحياة، في لحظة تبدل كل شيء ليس على أرض الواقع ولكن في عالم الأحلام..

تتعجبون مما أقول!، أنا أيضاً أتعجب من ذلك ولكن كما أقول لكم الواقع لا زال جميلاً إلى تلك اللحظة التي غفت فيها جفوني حينها أصبح كابوساً مخيفاً لا مفر منه...

كل شيء بدأ منذ ذلك اليوم؛ قررت أنا وصديقاتي أن نقضي الليل معاً في غرفة إحدانا تحت ضوء القمر وتلألؤ النجوم وجمال نسيم الليل، مضى الوقت سريعاً وأخذنا الحديث تارةً عن الملابس وتارةً عن الجيران وتارةً عن أجمل أماكن العالم وهكذا إلى أن دقت الساعة الثانية عشر قررنا أن نلعب تلك اللعبة العجيبة نكتب أول حرف من أسمائنا بجانب تلك الكلمات الغريبة ثم يدور القلم إلى أن يتوقف ومع كل دقة من عقارب الساعة تزداد نبضات القلب ويصبح الجو أكثر توتراً وترقباً ثم توقف القلم، أتعلمون أين توقف! نعم كما تتوقعون عند حرفي، لا أبالغ إن قلت لكم أن قلبي توقف في تلك اللحظة ولكن ردة فعلي كانت باردة إنها مجرد لعبة، هيا بنا لننام ونسافر إلى عالم الأحلام ولكن كنت أنا الوحيدة التي سافرت، ومن ذلك العالم أقدم لكم نصيحة ليس ورديا كما تظنون لذا لا تتمنوا السفر إليه أبداً..

أغلقتُ عيناي لكن لم أشعر براحة النوم مثل كل مرة بل رأيتُ بوابةً ضخمةً؛ جزءٌ منها مزينٌ باللؤلؤ والألماس والآخر بالجماجم وبقايا عظام متآكلة، أرعبني المنظر كثيراً وتوقف عقلي عن التفكير؛ أذوب في جمال اللؤلؤ والألماس، أم أخاف وأبتعد عن الجماجم وبقايا العظام؟! ولكن فضولي الدائم جعلني أفتح بوابة الأحلام لأخوضَ تجربةً لم أشهد مثلها من قبل..

خطت قدماي أول خطوة على سردابٍ كبير؛ يشبه البحرَ كثيراً، تعشقه لكنه غدار ينهي حياتك في لحظة غفلة.

من جهة هناك حلوى تذيب القلب وتهدئ الروح، ومن جهة أخرى هناك وحوش ومخلوقات غريبة كفيلة بإنهاء حياتك، هذا المكان يفقدك الإحساس لم تعد تعلم بماذا يجب أن تشعر!؛ بالخوف أم بالهدوء أم بالترقب للقادم وهكذا أكملت مسيرتي قلبي ينبض وأنفاسي تنقطع وأقدامي تستغيث حتى وصلت إلى نهاية مسدودة؛ ألتفت هنا وهناك ماذا يجب أن أفعل! ، الوحوش تقترب وتلك الحلوى تزداد عداداً، التقطت قطعة حلوى وتناولتها على الأقل أفارق الحياة وأنا أستمتع بمذاقها ولكن لم أتوقع أنها السبيل للنجاة؛ في اللحظة التي أصبحت فيها الحلوى بين أسناني تحولت نهاية السرداب إلى بابٍ كبير يقودك إلى قمر العشاق وأنهار المغرمين..

أسرعت لأخرج من السرداب وأُغلق الباب، بمجرد أن وضعت قدمي على أول درج من السلالم؛ في البداية سحرني ضوء القمر والتمعت عيناي بجمال الأنهار ولكن؛ عندما نظرت إلى الأسفل وإلى كم أنا قريبة من السماء وبعيدة عن الأرض عاد الخوف يسكن قلبي، كأنه أميرٌ فائق الجمال بأخلاق وحش كريه الروح..

درج، درجان، ثلاثة، مئة، مهما أنهيت من درجات لا أصل أبداً إلى الأرض كأن السلم يصعد بي إلى الأعلى ولا يريد مني الوصول والمثير للدهشة أنني أقترب من منتصف النهر وليس من الأرض يبدو أن السلالم تنتهي بنفق تحت النهر..

لا استطيع وصف المنظر لكم؛ أنا قريبة من النهر، ضوء القمر يغطيني والأشجار تدندن لحناً حزيناً، أعتقد أنه لحنُ وداعي لأن قلبي يكادُ أن يتوقف..

وصلتُ إلى نفقٍ مظلمٍ لم يكن طويلاً تجاوزته بسرعة لأصلَ إلى قريةٍ تحت النهر رأيت فيها الأعاجيب؛ بشراً غريبي الأطوار، طائر العنقاء، ووحيد القرن، ناهيكم عن أن القرية تحت النهر يغطيها غطاء زجاجي يمنحك أدق تفاصيل النهر؛ نباتات، أسماك، ونجوم البحر..

ظننت أنهم بشراً غريبي الأطوار ولكن في الحقيقة كنت أنا غريبة الأطوار الوحيدة هنا بل الدخيلة التي قد تسبب أذى لأهل القرية..

بدأت رحلتي في القرية باعتقالي بتهمة تهديد الأمن العام، أضحكتني تلك التهمة كثيراً فأنا المهددة والخائفة هنا وليس هم ولكن هكذا جرت الأمور، وبرغم من ذلك كان القاضي أعقل الحضور وقرر منحي فرصة لأثبت حسن نيتي، والعجيب أن حاكم القرية عادل؛ أمر ببناء بيت صغير لأسكن به، ومنحني عملاً لأكسب قوت يومي..

آه متى ينتهي هذا الحلم العجيب!، تساءلت كثيراً وتمنيت أكثر أن يحدث هذا ولكن دون جدوى لذا قررت أن أتعايش مع هؤلاء الأشخاص..

مضى يومان هنا، يومان من الانتظار والأمل للعودة، يومان بين نظراتِ كرهٍ وخوفٍ وأخرى شفقة ورحمة، يومان وكلي شوق إلى شروق الشمس وتغريد العصافير ونداء أمي، يومان من التأمل والتفكير والتخطيط..

بدأ فصل جديد من حياتي مع من يسكنون بجواري؛ العمة سعاد، الجد علي، الجدة ليلى، الجميلة غفران، والأخ الأكبر حمزة..

وتغير روتين حياتي؛ أستيقظ باكراً، أقوم بتمارين الصباح مع غفران ثم أنطلق للعمل في مصنع نسج القماش وأخيراً أستمتع بمراقبة سرب الأسماك مع وجبة شهية وكوب شاي يعيد لروحي الحياة.

مضى أسبوع كامل لم يحدث شيء يُذكر فقط تمحور حول؛ عمل، دردشة، تأمل، حنين، وتفكير في طريقة للعودة..

إلى ذلك اليوم حيثُ كنت أستمتع بنسج القماش ورسم بعض التصاميم البسيطة حتى أخذني الشوق إلى حلمي، "مصممة أزياء مشهورة" وأثناء أحلام اليقظة الوردية كانت قطعة القماش تودع الحياة وتعلن إهمالي في العمل، وفي لحظة خوف من المدير أخفيت القطعة بعيد عن موقع عملي، وتناسيت مبادئي وأخلاقي، ظننت أن الخوف الذي تسلل إلى قلبي سيختفي باختفاء جريمتي ولا سيما أن التهمة نسبت إلى إحدى العاملات؛ لم أعلم في ذلك الوقت أن الخوف والندم سيسكن قلبي، دموع العاملة وخوفها لم يفارقا عيني، وضميري ما زال حياً يخاف خالقي، كيف لي أن أخشى الخلق ولا أخشى من يراني ويعلم ما في قلبي، ولكنه خيط رفيع بين الحلال والحرام، بين الظلم والعدل، خيطٌ يستغله الشيطان؛ يسحبك إلى الظلام والضلال، تحاول المقاومة

ولكن؛ تضعف أمام متع الحياة ولكن في لحظة تشعر بالندم، تبصر وكأنك لم ترى من قبل، تتمنى آلة زمن تمحو بها أخطاءك، يصبح لديك خياران إما أن تنجوَ بنفسك أو أن تغمض عينيك وتغرق في عالم الضلال، لم أغفُ تلك الليلة ولكن وسط كل تلك الأفكار كنت سعيدة أن ضميري لم يتحمل خطئي، فهذا يعني لي الكثير، يشعرني أن الله يحبني ويرسل لي طوق نجاة لأنجوَ بنفسي من أولِ خطوةٍ في الهلاك رغم أني عصيته وهو يراني ولم ترجف عيني، لذا كانت آلة زمني الاستغفار، دموعٌ لا تجف، وقلبٌ يتقطعُ ندماً، وأخيراً أخذت العزم واعترفت بذنبي أمام الجميع وأطلقت تنهيدةً تعلن عن راحة قلبي وهدوء نفسي، واعتذرت كثيراً من العاملة ومن حسن حظي قبلت اعتذاري، وانتظرت قرار المدير النهائي فإذا به يفاجئني؛ أكملي عملك يا فتاة فأنتِ أشجع فتاة رأيتها في حياتي، حقاً لا يندم من اختار الله ولا يهنأ من اختار هواه..

عدت للمنزل سعيدة وأخبرت الجدة بما مررت به كانت سعيدة بشجاعتي، وقالت لي جملاً لن أنساها ما حييت: "لا تستهيني بالذنب حتى لو كان صغيراً فقد يرمي بكِ في متاهات لا نهاية لها، لا بأس إن أخطأتي فأنتِ بشرٌ يصيبُ ويخطئ ولكن تذكري أن باب التوبة مفتوح وأن الاستغفار يمحو الذنوب، لا تظلمي أحداً يا صغيرتي فالظلم يملأ حياتكِ ندماً وحسرةً، وأخيراً لا تجعلي الدنيا أكبر همك راقبي الله في السر والعلن فإذا سكنت خشيته قلبك كنتِ من الفائزين في الدنيا والآخرة.

بعد تلك الحادثة تحسنت علاقتي مع الموظفين في المصنع وأصبحت أقرب إليهم من قبل، في تلك الأثناء اكتشفت شيئاً مهماً جداً، في جنوب القرية يوجد عجوزٌ حكيمة قد تعرف سر وجودي هنا بل قد تساعدني في العودة أيضاً، عدت إلى المنزل مسرعة

أخبرتُ عمتي وغفران بذلك فاقترحوا علي أنا أقدم طلب إجازة.. نحتاج فقط أسبوع للذهاب والعودة وهكذا تقدمت بطلبٍ وحزمت أمتعتي وبدأت رحلتي أنا وغفران وحمزة..

مضينا في طريقنا إلى جنوب القرية، لا أعلم كيف أصف لكم الطريق!، ولكنه يشبه رحلات البدو قديماً لا وسيلة سفر إلا أقدامك ووحيد القرن؛ ألطف حيوان رأيته في حياتي، فقط النظر إليه يمحو تعب الطريق، كنا نمر معه من منطقة إلى أخرى، لم ألحظ ذلك من قبل ولكن هذه القرية ليست صغيرة أبداً بل هي جزيرة كبيرة في قاع النهر، وهكذا في كل منطقة أكتشف عجائب أكثر؛ هنا أسراب سمك مختلفة عن المعتاد، هنا ضوء الشمس البعيدة أقرب، هنا أزهار بألوان تأخذك إلى عالم الخيال..

ظللت مفتونة بكل هذا طوال الطريق إلى أن حل الظلام حيثُ بدأ حمزة ينصب لنا الخيام ويشعل الحطب للتدفئة..

ـــ هل تحتاج إلى مساعدة يا حمزة؟

=لا حاجة لذلك أوشك على الانتهاء، شكراً لكِ.

غفران : سوف ينتهي سريعاً يا مودة هيا بنا نضع الأمتعة ونحضر الطعام.

ـــالآن كل شيء جاهز، هيا بنا نأكل فأنا أتضورُ جوعاً.

غفران: نعم كان اليومُ متعباً جداً.

عدلت جلستي ثم أردفت قائلة أريد أن أشكركم حقا فقد تركتم

المنزل بكل وسائل الراحة وقررتم القدوم معي، شكراً جزيلاً لكم.

غفران: صديقتي كيف تقولين هذا أنتِ جزءٌ لا يتجزأ من عائلتنا، أتعلمين؟ أنتِ كالنجمة أرسلها الله لنا؛ تساعدين أمي، وترسمين الابتسامة على وجه جدي وجدتي، غير هذا تستمتعين بثرثرتي الكثيرة.

حمزة: لا أعلم كيف تتحملكِ حقاً.

غفران: ماذا تقول؟

_لا أرجوكم لا تتشاجروا.

ضحكنا جميعاً وتبادلنا الحديث في مواضيع مختلفة؛ كيف هي الحياة في مدينتي، وشكل النجوم في الخارج، وفي كل مره أروي لهم شيئاً أرى التعجب في أعينهم كما أتعجب أنا من جزيرتهم وهكذا مضى نصف الليل وخلدنا جميعاً إلى النوم مع بعض القلق، فالليلُ جميلٌ ولكن لا يمكن أن تأمنه وتنام مُرتاحَ البال؛ الليلُ هدوءٌ وراحةٌ وتفكرٌ ولكن؛ قطاع طرق وذئاب وأفاعي..

ظل حمزة مستيقظاً حذراً مثل أميرٍ شجاع لا يخشى شيئاً ويقاتل من أجل أحبته، طلبت منه أن يخلد إلى النوم قليلاً وأتولى أنا المراقبة لكنه رفض ذلك وطلب مني العودة للنوم، عدت أدراجي ووضعت رأسي على الوسادة مستمتعة بصوت ترتيله للقرآن حتى غفت جفوني وصعدت روحي إلى السماء.

ما أجمل صوت العصافير! لحنٌ يأخذك إلى السماء، تشعر أن الغيوم بين قدميك، السماء قريبة منك، والأزهار تتناثر من حولك، ثم صوت ينادي عليك من بعيد.. هل هي أمي! ، هل عُدت إلى الحياة من جديد أم ماذا! ، فتحتُ عيناي لأرى أين أنا..

غفران: هيا يا مودة لقد أطلتي النوم.

ـــ إنها أنتِ يا غفران وليست أمي.

غفران :ماذا ؟

ـــلا شيء، هيا بنا لنكمل الطريق.

حزمنا الأمتعة وتناولنا وجبة بسيطة ثم مضينا حسب الخريطة ولكن هذه المرة علينا تجاوز الجبل لنصل إلى وجهتنا، لم نكن نعلم ما ينتظرنا..

وصلنا إلى مقدمة الجبل؛ جبل بألوان مختلفة تشبه ألوان الطيف، مستوي مثل رمال الصحراء، يمكنك القول أنه رجل شرير يرتدي قناعاً لطيف ينتظر وقوعك بفارغ الصبر، يوجد الآن أمامنا مفترق طريق، إما الجهة اليسرى أو الجهة اليمنى إحداهما توصلنا إلى قرية العجوز الحكيمة والأخرى إلى ملاقاة حتفنا، لم يُذكر مفترق الطرق هذا في الخريطة لذا اعتمد حمزة على حدسه واتجهنا إلى الجانب الأيمن، أمسكت يد غفران بقوة ومضى حمزة أمامنا يضرب الأرض بعصًا خوفاً من وجود أفاعي قد تباغتنا ولكن لم تباغتنا الأفاعي بل قطاع الطرق الملثمين، وفي لحظة تجردنا من أمتعتنا وأصبحنا محتجزين في غرفة معتمة، أنفاسنا تتصاعد وقلوبنا بدأت قرع الطبول، في الحقيقة هذه حالتي أنا وغفران أما حمزة فقد كان هادئاً يفكر في طريقة للخروج..

حمزة: ماذا تريدون منا؟

أحد الملثمين: أجب عن أسئلتي أولاً، من أنتم وما الذي جاء بكم؟

حمزة: نحن نسكن شمال الجزيرة وجئنا إلى الجنوب نبحث عن العجوز الحكيمة.

الملثم: ولماذا تبحثون عنها؟

حمزة : لا أعتقد أن هذا يهمك .

الملثم: أنت محق لا أهتم بهذا كثيراً ولكنكم تعديتم حدودنا والزعيم غاضب جداً ثم إن الطريق إلى العجوز من الجهة اليسرى وليس اليمنى ما الدليل على صدق كلامكم؟

حمزة : ولماذا أكذب عليك؟، أنت ترى ذلك ليس معنا أسلحة فقط طعام وبعض الملابس ثم كيف أهاجمكم ومعي فتاتان!

الملثم: تبدو محقاً ولكن قد تكونوا جواسيساً ثم إنكم رأيتم مخبأنا هذا المكان الذي لم يتجرأ أحد الدخول إليه.

ـــ إذاً أخرجونا لا نريد البقاء هنا على أية حال .

الملثم: اصمتي يا فتاة، سوف تبقون هنا اليوم وغداً ستلقون حتفكم.

غفران : ماذا سنفعل الآن!

حمزة : لا بأس اهدءوا بالتأكيد سنجد طريقة للخروج.

ـــاللهم كن معنا ونجنا من كل ضيق .

بدأ حمزة في محاولة فك قيوده ونجح في ذلك ثم حررنا من تلك الحبال، حقاً ما أجمل الحرية وما أسوء أن تكون مقيداً بلا حركة لا تملك حيلةً.. أشعر بك الآن يا عصفوري أعدك سوف أفك قيدك عند عودتي إلى المنزل، توقفت قليلاً ما الذي أفكر به الأن هذا ليس الوقت المناسب، كان حمزة في هذا الوقت يتفحص المكان بهدوء أما غفران فكانت تمسكني بقوة..

ــلا تقلقي يا غفران سوف نخرج بالتأكيد .

غفران: اللهم كن معنا.

حمزة : هيا سوف نخرج من تلك النافذة الصغيرة، من حسن الحظ أن أمتعتنا هنا، قمنا بأخذ الضروري فقط من الأمتعة ثم تسلقنا على أكوام معادن قديمة وأخيراً رأينا النور، كان المكان أشبه بالمتاهة نحاول الخروج ونعود لنفس النقطة علينا الإسراع قبل أن يكتشفوا هروبنا، وفجأة ظهر عجوزٌ كبير وتوقفت أقدامنا يبدو أنها النهاية سنلاقي حتفنا اليوم وليس غداً ولكن العجيب أن حمزة احتضن هذا العجوز بشوقٍ كبير..

حمزة: لا تخافوا هذا العم سعيد كان رئيسي في العمل قديماً وقد تعلمت منه الكثير، ما الذي جاء بك إلى هنا يا عمي؟

العم سعيد: بعد أن تقاعدت قررت السفر إلى الجنوب لجمع بعض الكتب لتسليني في ما تبقى من عمري.

حمزة: إذاً ماذا تفعل هنا؟

العم سعيد: لا تستعجل يا بني سوف أقول لك ولكن علينا الآن

الابتعاد عن هنا، هيا اتبعوني.

ـــابتعدنا كثيراً عن ذلك المكان يبدو أننا الآن في أمان.

العم سعيد: اجلسوا يا أولاد لنشرب بعض الماء وأروي لكم كيف وصلت إلى هنا، عندما بدأت رحلة السفر وصلت إلى مفترق الجبل واخترت الطريق الخطأ ويبدو لي أنكم فعلتم ذلك أيضاً، احتجزت هنا ولكن علوم الأعشاب التي تعلمتها ساعدتني في البقاء حياً، بقيت أزرع وأحصد لهم سنةً كاملةً آخذ الأجر طعام وسكن وإذا طرحت الأسئلة وحاولت الهروب أُلقيت في الغرفة المعتمة.

ـــ كيف تحملت ذلك يا عمي ؟

العم سعيد: الصبر والثقة بالله يا ابنتي ، كل شيء في هذه الدنيا يحدث لحكمة يعلمها سبحانه، يرمى يوسف في البئر ليصبح أمين مصر، يحرم زكريا من الذرية فيُبشر بيحيى نبياً، تزيلُ الشمسُ عتمةَ الليلِ مهما طال، وأزالت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عتمةَ كربي وجاء الفرجُ في صورة خريطة تحمل أسرار هذا المكان، اكتشفتُ أن هذه الصخرة أمامنا هي بابُ نفقٍ تحت الجبل يوصلك إلى الجهة الصحيحة نكمل منها طريقنا إلى الجنوب.

ـــسبحان الله لا أملك ما أقول لقد نجانا الله وقدر لنا لقائك.

غفران: لم يتركنا الله أبداً.

حمزة : الحمد لله على نعمه الكثيرة، هيا بنا لنمضي في طريقنا قبل أن يشعروا باختفائنا.

سلكنا النفق بمصباح صغير إلى أن وصلنا الجهة الأخرى ولم ننسَ بالطبع وضع تلك الصخرة مكانها ليفقدوا أثرنا، وفي الطريق حدثنا العم سعيد عن وجهتنا وقرر مواصلة الرحلة معنا، والآن بعد أن مررنا بكل تلك المخاطر تبقت لنا آخر عقبة "حديقة الأحلام" مع أن الاسم يوحي لكم بجمال المكان ولكن حارس تلك الحديقة ليس بشراً يمكن التغلب عليه أو إقناعه بل هو طائرُ العنقاءِ، ذلك الطائر الخيالي الذي لم أتصور يوماً أن أراه؛ أجنحة تكاد تغطي الحديقة كاملة، عنق يصل إلى أعلى ارتفاع، وألوان لا تعرف كيف دمجت وأنتجت هذا الشكل البديع، ترى عيناك أجمل ما يمكن أن ترى، يخفق قلبك كأنه لم يخفق من قبل، تتمنى الاقتراب منه وترتعد أناملك بمجرد تخيل ذلك..

وقفت أتأمل ذلك المكان بكل تلك المشاعر إلى أن قطع صوت حمزة سيل أفكاري..

ـــالطريقة الوحيدة للعبور من حديقة الأحلام هي معرفة سر البوابة.

= ماذا بوابة؟، أي بوابة؟

غفران: تلك البوابة التي أمامك يا مودة، ألا يمكن لذلك الطائر أن يحملنا؟

حمزة: بالطبع لا، ألا ترين كيف يحلق! إنه يحذرنا من الاقتراب.

العم سعيد: دعونا نجلس ونفكر بهدوء.

لقد أخذ ذلك الطائر كل جوارحي حتى أنني لم أرَ تلك البوابة أمامي ولكن العجيب أنها نفس البوابة التي رأيتها في بداية الرحلة؛ نفس الألماس واللؤلؤ، نفس الجماجم وبقايا

العظام لكن هنا يوجد نقوش وحروف غريبة تلك التي يجب أن نرتبها لتفتح تلك البوابة..

كان كل منا غارقاً في التفكير، ما هي كلمة السر يا ترى؟

حل الظلام ولم نصل إلى شيء، تناولنا الطعام وأشعل حمزة النار وبدأنا نسير في متاهات التفكير؛ جماجم وبقايا عظام في جهة، ألماس ولؤلؤ في جهة أخرى، ماذا يجمع بينهم؟ ولماذا تلك الأشياء رسمت دون عن غيرها؟ ومن رسمها؟

ـــأظن أني أعرف قصة الرسم على تلك البوابة.

= أحقاً تعرف ذلك يا عمي؟

ـــنعم يا ابنتي فقد كنت عاشقاً للكتب والأسرار وكانت هذه البوابة إحدى الرحلات الممتعة في كتب التاريخ القديم.

غفران: بسرعة يا عمي اروي لنا القصة لعلنا نجد السر.

ـــيُحكى أن جزيرتنا هذه لم يكن لها وجود؛ كان يعيش الناس على الأرض يستمتعون بشروق الشمس وغروبه، ويتأملون جمال القمر وسكون النجوم، يزرعون ويحصدون، تُبنى لهم أجمل القصور وأرقى الحدائق كان يعم السلام أرضهم، حاكم عادل ورعية يتقون الله في أعمالهم، لم يعجب ذلك أصحاب القلوب السوداء؛ كره، بغض، حسد، ورياء لم يكن لهم مبرر ولكن ذلك الحب لم يرق لقلوب يملؤها الحقد، رسمت الخطط بدماء الأبرياء، سلسلة قتل لا نهاية لها من حاكم البلاد إلى أضعف الرجال حتى الأطفال والنساء لم يسلموا من شرهم، حل الدمار أرضهم، لم تشرق الشمس لهم عم

الظلام والحزن المكان، تنظر لهم السماء بدموع، ويتأملهم القمر بحزن، مات الكثير وكسرت قلوب الأحياء..

قرر ابن الحاكم أن يضع حدًّا لذلك فطلب عون الشعب.. لم يكن الطلب صعباً ولم يطلب الكثير ولكن القلوب البيضاء أظلمت؛ أصبح المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً..

اجتمع الشعب وأي شعب، شعب تكفي الأصابع لعدهم ولكن ليس بالعدد بل بنقاء القلب وصفاء الروح، بالعزيمة والإصرار، بالثبات حتى النهاية..

رسموا الخطط بالحب والخير، تمسك بعضهم ببعض خوفاً من تقلب القلوب، بنوا جزيرة تحت النهر هرباً من الظلم والضلال، عمروا الجزيرة بقلوبٍ تنبض بالعدل حتى أنها أصبحت أجمل من أرضهم، زرعوا ولم يطلبوا الحصاد، ربوا أبناءهم وأحفادهم على مبادئهم التي تمسكوا بها حتى الموت، أحدهم كان مبدعاً؛ صاحب تلك النقوش والحروف، كل شيء غريب على هذه الجزيرة هي رسالة منهم لنا لنتمسك ونتحمل ونقاتل من أجل قلوبنا حتى ترد إلى خالقها.

غفران: لقد صمدوا حتى النهاية لنحيا بأمان، أسكنهم الله جنات النعيم.

مودة: يعجز لساني عن التعبير حقاً لقد قدموا الكثير

حمزة: إنهم رجال غيروا مجرى التاريخ واستطاعوا قهر الظلم والطغيان.

العم سعيد: أسأل الله أن يجعلهم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

مودة: إذاً سر هذه البوابة ليس مجرد كلمة بل وصية لأبناء هذه الجزيرة.

_ أعتقد ذلك يا ابنتي.

غفران: الجماجم تشير إلى الشر والحلوى إلى الخير وبينهما خيط رفيع.

مودة: وإذا أمعنا النظر يوجد قلب مشترك بين الجهتين.

حمزة: هذا صحيح وهناك نقوش لأشخاص أسفل البوابة يحاولون الوصول إلى القلب.

العم سعيد: كما يوجد نقش سجادة الصلاة ومصحف صغير.

مودة: إذا هل يمكن أن تكون..؟

غفران: هيا أسرعي، ماذا تكون ؟

مودة: اهدأي سأقول، الخير والشر بينهما خيط صغير قلبك يتأرجح بينهما لسنا ملائكة تخلوا قلوبنا من البقع السوداء بل نحن بشر نصيب ونخطئ ولكن انظروا جيداً إلى النهاية إما جحيم وضلال أو نعيم وفلاح إذا فسدت قلوبكم تحملوا، شدوا أزركم بالصحبة الصالحة وتمسكوا بالصلاة وكلام خالقكم تنعموا بنعيم الدنيا والآخرة.

كان حمزة يكتب ورائي هذه الكلمات وأسرع يرتب الحروف وفتحت البوابة على مصراعيها، حزمت أنا وغفران الأمتعة بسرعة وخطت أقدامنا تلك الحديقة مع نسيم الفجر، صلى بنا حمزة الفجر؛ صوت ترتيل القرآن، تغريد العصافير، نسيم الفجر، ورائحة الزهور كفيلة بجعلي أنسى العالم بما فيه، أسرعنا للخروج من الحديقة لا أخفيكم سرا تمنيت لو أبقى قليلاً هنا، هل تعتقدون أنني مجنونة؟ لست مجنونة ولكن سحر المكان يخطف قلبك من اللحظة التي تراه فيها؛ أشجار بألوانِ الطيفِ تكادُ تصل إلى السماء، طيور تجول هنا وهناك كأنها تلعب مع طائر العنقاء عندما يمر من فوقنا تقف

قلوبنا عن النبض لا أعلم أهو خوف أم عجز عن تصديق جماله، أرانب بيضاء تركض وتختبئ خلف بعضها البعض كأنها تلعب، وعصفوران فوق تلك الشجرة يلحنان لبعضهما لحن العشاق، وأزهار بألوان لم أرَ مثلها يوماً تملأ المكان رقةً ومرحاً كطفلة صغيرة تجوب المكان على شفتيها ابتسامة تبعث في الروح الراحة والحنان، لم تغمض جفوني ثانية حفظت كل شيء في قلبي وانتهى الطريق ووصلنا إلى قرية العجوز الحكيمة ليس بيننا وبينها إلا القليل..

تبدو هذه القرية مختلفة عن المناطق التي مررنا بها، السكان قليلون والمكان هادئ جداً حتى أنك تستطيع أن تسمعَ سير الأقدام وتحرك أوراق الأشجار..

طرق حمزة الباب ومع كل طرقة أتحمس أكثر لمعرفة أي نوع من الأشخاص هي، فتحت الباب فتاة في الخامسة عشر سألت من نحن ولماذا جئنا ثم استقبلتنا في غرفة منفصلة عن باقي المنزل وبين الغرفة الخارجية والغرف الداخلية ساحة صغيرة مليئة بالريحان والياسمين، يتوسطها نافورة تتراقص قطرات الماء حولها

ـــ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

= وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ـــ لابد أن السفر أتعبكم كثيرًا يا أولادي، استمتعوا بالطعام أولاً ثم أعلموني ما قصتكم.

غفران: هل أنتِ حقاً العجوز الحكيمة التي يتحدثون عنها؟

- نعم هل هي أنتِ حقاً! إنكِ أشبه بالشابة الجميلة أكثر منكِ عجوزة

ـــ يالا سعادتي حقاً، شكراً جزيلاً لكم، هيا هيا الطعام سيبرد .

حقاَ لم أرَ عجوزاً بذلك الجمال أبداً ولا طعام بتلك اللذة .

أنهينا الطعام واستمتعنا بكوب شاي بأوراق النعناع ثم سردنا قصتنا للعجوز الحكيمة والصغيرة فرح..

ـــ قبل أي شيء هل يمكن أن نناديكِ خالتي.

= بالطبع يا صغيرتي .

ـــإذاً هل تملكين حلاً لمشكلتي يا خالتي؟

= نعم يا صغيرتي، تلك اللعبة التي لعبتموها يطلق عليها جزيرة الأحلام وتلك الرموز الغريبة بين حروف أسمائكم هي؛ السماء وتشير إلى الحرية، الجبال وتشير إلى القوة والصلابة، القمر ويشير إلى الجمال، الميزان ويشير إلى العدل، صمم تلك اللعبة حاكم هذه الجزيرة قديماً، أراد حماية الجزيرة من الأعداء وضع في وسطها جوهرة تملك قدرة خاصة "استشعار خبايا القلوب" فلا تفتح الطريق إلا لمن ملك قلباً حياً ينبض بالحب والخير، قلبكِ في ذلك الوقت يا صغيرتي كان ينبض طلباً للنجاة من ظلم مدينتكم، من أشياء ترينها ولا تملكين قدرة على تغييرها، أراد أن يحيا بين قلوب نقية صافية، ليس هذا وحسب بل أراد أن ينقذ قلباً آخراً ينتمي لمدينتكم.

ـــ ماذا! هل يسكن هنا شخص من نفس مدينتي؟

= نعم يا صغيرتي، التقيت به مرةً ولكن كان في قلبه فجوة لا أعلم استطاع أن يتمكن منها أم أنها ابتلعته.

ـــ إذاً ماذا أفعل لأعود إلى مدينتي؟

= أمسكي يدي يا صغيرتي.. طلب قلبك النجاة، طلب القيم والأخلاق يبدو لي أنك حصلتي على بعضها خلال مسيرتكِ هنا، يمكنكِ العودة يا صغيرتي عندما يكتفي قلبك ويصل إلى ما يريد، عندما يصبح جزء من قلب ذلك الفتى ويعودا معاً إلى الديار فقط في تلك اللحظة ومع اكتمال القمر سيظهر الطائر الأزرق ويأخذكما في رحلة بين الغيوم، سيكشف لكم جمال العالم ويمنحكما شعوراً لن تنسوه ما حييتم.

جلست عند نافورة المنزل أفكر فيما قالته خالتي، قلبي نبض أراد النجاة، لماذا؟ أجابت فرح على سؤالي؛ قد تكون الحقيقة قريبة منكِ لدرجة أنك لا ترينها، تعالي معي إلى تلك الغرفة، استرخي، واسترجعي كتاب ذكرياتكِ..

غفران: يبدو أنها ليست بخير.

حمزة : لا تقلقي إنها قوية تحتاج فقط لبعض الوقت تتقبل فيه الواقع.

غفران: أتمنى ذلك يا أخي.

الخالة سلوى: ستتقبل بالتأكيد امنحوها بعض الوقت، أستأذن منكم سأذهب لأكمل تنقية الأعشاب والمنزل منزلكم لا تخجلوا من طلب أي شيء.

غفران : شكراً لكِ خالتي.

العم سعيد : إذاً هل يمكنني استطلاع تلك الكتب؟

- بالطبع يمكنك ذلك.

مللت من الغرفة وفتحت الستائر لعل هدوء المساء يرشدني؛ ضحكات غفران وفرح، حماس العم سعيد بأكوام الكتب أمامه، وصوتٌ قريبٌ مني، صوتٌ يزيل الهموم ويريح النفوس؛ رتل حمزة سورة يوسف تحت النافذة، يا له من صوت! ويا لها من سورة! تلك السورة لطالما أحببتها، مسكنة قلبي وطوق نجاتي، بدأت بحلم جميل وواقع بعيد كل البعد عن ذلك الحلم، كلما اقترب سيدنا يوسف ابتعد أكثر؛ رُمي في البئر، أصبح غلاماً يُباع ويُشترى، راوَدته امرأة العزيز، سُجن وطال سجنه ثم ماذا هل فقد الأمل؟ لم يفقد الأمل يوماً، لقد كان واثقاً أن فرج الله قريب وأن الله لا يضيعُ أجر من أحسن عملا، صبر وأُجر، أصبح أمين مصر، آوى إليه أخاه، رفع أبويه على العرش وخروا له سجدا، تحقق الحلم رغم كل شيء، جاء الفرج رغم تلك الصعاب، اجتمع بأبويه رغم بعدهما عنه..

أعتقد أن قلبي نبض لأنه كره الظلم؛ ظلم الأخ لأخيه، الابنة لأبويها، والعالم للضعفاء، نبض لأنه تألم لتلك الدماء والحروب تمنى عالماً يسوده الأمان والخير..

ختمت سورة يوسف بآية كفيلة بجعلي أكمل الطريق: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ".. في تلك اللحظة التي تنتهي فيها كل الأسباب ونظن أنها النهاية سيأتي فرج الله، قصة يوسف رسالة إلى كل مُبتلى ومظلوم، إلى كل من أتعبته الدنيا.. فرج الله آت لا محالة فاصبر واحتسب وكن من المحسنين.

منحني الله راحة البال بآيات القرآن، غادرت الغرفة بمشاعر غير التي دخلت بها فسبحان مغير الأحوال..

_ماذا تفعلون يا فتيات ؟

غفران: نلعب لعبة الأعداد.

فرح: هيا انضمي إلينا؛ أولاً: ضعي يدك فوق يدي والعكس مع غفران، ثانياً: سنبدأ العد من واحد إلى ما لا نهاية والمطلوب تجاوز أي رقم يحمل الرقم خمسة، ثالثاً: إذا خسرتِ سيحكم عليكِ بأمر وعليكِ التنفيذ.

_ حسناً يبدو ذلك ممتعاً، هيا نبدأ .

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، ستة... خمسة وعشرون.

غفران: لقد خسرتِ، لقد خسرتِ.

فرح: سوف نحكم عليكِ الآن.

_ ما كل هذه السعادة إنها لعبة مملة.

غفران: كانت ممتعة منذ لحظات.

_ نعم نعم إنها ممتعة، أنا فقط من خسرت.

فرح: حسناً بماذا يجب أن نأمرها يا غفران!

غفران: تقليد القرد أم التحدث مع الجماد؟

فرح: لا ما رأيكِ في نط الحبل 30 مرة؟

غفران: هيا يا مودة عليكِ نط الحبل 30 مرة.

ـــ أين قلوبكن يا فتيات!

غفران: ألا تعلمين لقد سافرت إلى مكان بعيد.

ـــ كفي عن المزاح سأبدأ .

ملئت ضحكاتنا المكان؛ خفة دم، براءة، وانعزال عن مشاكل العالم..

العم سعيد: يبدو أنهم يستمتعون.

حمزة: نعم يبدو ذلك، ينتظرنا غداً رحلة طويلة.

العم سعيد: أعتقد أني سأبقى هنا.

حمزة: كنت أشعر بذلك، يوجد بحر كتب هنا كيف لك أن تتركه.

العم سعيد: إنك أكثر من يفهمني، سأبدأ العمل هنا وأجمع أكبر قدر من العلم.

حمزة: أسأل الله لك الخير حيث كان لكن لا تطل غيبتك علينا يا عمي.

العم سعيد: سأفتقدك حقاً أيها الفتى .

قضينا الليل مستمتعين بأحاديث فرح؛ تارة عن أصدقائها، تارة عن مواقفها المحرجة ، وتارة عن حلمها، وما أجمل شخص يتحدث عن حلمه كأنه يملك الدنيا بما فيها، أتذكر جيداً ذلك الاتصال وتلك البشرى "مباركٌ لكم ابنتكم من أوائل الثانوية العامة" سكنت فرحة ذلك الخبر قلب والداي إلى الآن وكنت فخرهم كما كانوا هم أعظم هدية من الله لي، مع أنه كان بإمكاني دخول ما يسمونها بكليات القمة ولكن كانت القمة بالنسبة لي أن أكون مصممة أزياء، ليست تلك الأزياء التي تنقص من قدر صاحبها أكثر من أن

تجمله بل تلك الساترة التي ترفع الإنسان منزلة عند خالقه، مرة أخرى أنسى العالم مع أحلام يقظتي..

غفران: أين ذهب عقلكِ مرة أخرى أيتها الفتاة !

فرح: لا تقولي لي أنك واقعة في الحب.

ــنعم واقعة في حب حلمي لأحدثكم عنه قليلاً.

غفران: إذاً أسرعي، غداً لدينا طريق سفر طويل.

فرح: هذا صحيح سوف أفتقدكم كثيراً، لا تنسوا زيارتي في أقرب فرصة.

ــ ونحن أيضاً يا فرح.

غفران: سنزوركِ كثيراً حتى تملي منا.

ــهيا لننام قبل أن يتم الإمساك بنا من قبل الخالة سلوى.

غفران: تصبحون على خير.

ــ وأنتِ من أهل الخير.

تسلل الضوء إلى غفرتنا، بدأت العصافير تغرد لحنَ الصباح، والديك يصيح معلناً وقت الاستيقاظ..

تناولنا وجبة الإفطار بين سعادة للعودة إلى ديارنا وحزن لمفارقة أحبابنا، ولكنها الدنيا دار الفقد والبلاء..

الخالة سلوى: حمزة لا تنسَ الخريطة التي رسمتُها لك بالأمس سوف تسهل عليكم الطريق كثيراً

حمزة: لا تقلقي يا خالتي إنها معي.

الخالة سلوى: أستودعكم الله يا أولادي.

العم سعيد: انتبهوا على أنفسكم، سهل الله لكم طريقكم.

ودعنا الجميع على أمل اللقاء في يوم ما، وبدأنا رحلتنا إلى الديار..

بدا الطريق أسهل كثيراً عن الذي سلكناه في بداية رحلتنا أو يبدو أننا نعرف جيداً أي اتجاه يجب أن نسلك، جزاكِ الله خيراً يا خالتي قد رسمتي الخريطة بعناية بالغة

أعلنت الشمس انتهاء عملها وودعتنا بأجمل غروب، ذلك الغروب الذي اشتقت لرؤيته كثيراً كأن السماء تغلق ستائرها لينعم البشر براحة وصفاء بال، عدنا لديارنا تزامناً مع الغروب لننعم نحن أيضاً بابتسامة وأحضان حقاً حب العائلة هو أجمل شيء يمكن أن يمتلكه الإنسان..

الجدة: كيف حالكم يا أولادي؟ كيف كانت الرحلة؟ كنت قلقة عليكم كثيراً

الجد: إلى ماذا وصلتم؟ هل اعترض طريقكم أحد؟

العمة سعاد: هل أنتم جائعين؟ هل تشتهون شيئاً؟

غفران: اهدئوا أرجوكم، كيف نجيب على كل تلك الأسئلة !

حمزة: أقسم لكم نحن بخير.

ـــ لا تقلقوا لقد وصلنا إلى وجهتنا بأمان.

الجد: حسنا يا أولادي اغتسلوا واستمتعوا بالماء.

ـــ حسنا يا جدي.

الجد: هيا يا سعاد حضري لهم سفرة الطعام، وأنتِ يا عزيزتي ضعي لهم مفارش النوم.

العمة: حسنا يا أبي.

الجدة: وأنت ماذا ستفعل يا عزيزي؟

ـــ سأفتقدكِ حتى تعودي يا عزيزتي.

- أنا أيضاً ولكن عليك قطف بعض النعناع ليستمتعوا بمذاق الشاي.

ـــ حسنا يا عزيزتي.

غفران: ما أجمل الماء الدافئ!

ـــ ما أجمل السرير!

غفران: ما أجمل النوم!

العمة: هيا يا أولاد إلى الطعام بسرعه قبل أن تغفو جفونكم.

غفران: ألا يمكن أن نأكل هنا يا أمي؟

العمة: قلت هيا.

ـــ حسنا يا عمتي قادمون.

على مائدة الطعام ومع كوب الشاي الدافئ حكى حمزة لهم مغامرتنا بكل تفاصيلها.

الجد: الحمد لله الذي ردكم إلينا سالمين.

العمة: ماذا! ماذا تقول! قلت فتى من نفس مدينة مودة، هل يمكن؟

ـــ هل تعرفين شيئاً عن ذلك الفتى يا عمتي؟

ـــ ماذا! لا بالطبع لا.

حمزة: ما بكِ يا أمي تبدين متوترة !

الجدة: إنها قلقة عليكم فقط يا بني.

الجد: إذاً من الغد يا مودة عليكِ سؤال أهل القرية هنا وإن لم نجد شيئاً فالأفضل أن نطلب رؤية الحاكم ونسأله عن ذلك الفتى من المؤكد أنه يعرف.

ـــ حسنا يا جدي.

غفران: إذاً هيا بنا إلى النوم، تصبحون على خير.

ـــ وأنتم بأهل الخير يا أولادي.

الجد: يبدو أن الأمر سيطول قليلاً، أسأل الله أن ييسر لها الحال ويجمعها بأهلها على خير، هيا سأذهب أنا أيضاً لأنام تصبحون على خير.

الجدة: وأنت من أهل الخير يا عزيزي، سأبقى قليلاً مع ابنتي.

العمة: ماذا أفعل يا أمي! لقد نبض قلبها من أجله..

الجدة: حان الوقت ليعرف الحقيقة يا ابنتي.

ـــ لا، لا يا أمي لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع أن أحيا وهو ليس بجانبي.

= اهدئي يا ابنتي أعلم كم تحبيه ولكن يجب أن يعرف الحقيقة.

ـــ سيتركني ويذهب يا أمي.

= ماذا عن مودة ألا تحبينها؟

ـــأحبها يا أمي ولكن لا استطيع..

=لا بأس يا ابنتي عليكِ التفكير بهدوء فيما تريدين فعله ولكن احذري من أن تظلمي أحد.. تصبحين على خير.

ـــوأنتِ من أهل الخير يا أمي.

تركتني أمي ضائعة بين حبي له وبين الشعور بالذنب؛ أتمنى لمودة الخير والعودة إلى وطنها ولكن هذا سيفرق بيني وبينه ماذا عنها؟ هي أيضاً تملك أماً تشتاق إليها، لا أعلم ماذا أفعل! أرشدني يا ربي...

غفران: لقد تأخرت لقد تأخرت!

ـــ كفي عن الإزعاج يا غفران تأخرتِ عن ماذا؟

= بالطبع، هذا إزعاج بالنسبة لشخص انتهى من سنوات المدرسة.

ـــ أضحكتيني كثيراً لا تقولي لي أنكِ تعتقدين أن راحة الجامعة لا مثيل لها.

= لا وقت لدي لأتحدث، إلى اللقاء يا مودة.

ـــ إلى اللقاء

العمة: أيتها المتأخرة الفطار جاهز.

غفران: أتمنى أن أستمتع بالطعام ولكن سأطرد من الحصة.

الجدة: لن تتخلصي من عادة التأخير أبداً !

الجد: هيا يا مودة قبل أن تتأخري أنتِ أيضاً عن العمل.

ـــ ماذا؟ العمل كدت أن أنسى ذلك!

العمة: هؤلاء الفتيات حقاً ..

حمزة: أنا أيضاً متأخر سأتناول الطعام في ورشة العمل.

الجد: لا أعلم متى كبرت وأصبحت مهندساً الوقت يمر سريعاً!

الجدة: وفقهم الله وبارك لهم جميعاً.

العمة: ألم تنسَ شيئاً يا حمزة؟

حمزة: شيئاً مثل ماذا؟ اااه بالطبع لا أستطيع أن أنسى تقبيل رأسكِ يا أمي.

العمة: أدامك الله لي يا ولدي.

الجدة: لم يبقَ غيرنا لتناول كل هذا الطعام.

الجد: إنه عمر الشباب، تتذكرين كيف كنت شاب جميلاً ؟!

الجدة: لم تكن جميلاً لتلك الدرجة..

الجد: إذاً لماذا تزوجتِ بي !

الجدة: إنه قلبي الذي اختارك.

العمة: حسناً كلاكما رائعان.

في العمل رحب الجميع بعودتي أصبحت شخصاً عزيزاً عليهم لا أعلم كيف سيكون يوم وداعنا، بدأت رحلة البحث سألت الجميع هنا لعل أحداً يعلم عن أمر ذلك الفتى ولكن بلا فائدة كأنه سراب لا وجود له..

انتهى اليوم وعدت إلى المنزل لعلي أسمع بشرى سارة ولكن لم يكن هناك أي بشرى؛ جدي وحمزة وغفران سألوا الجميع ولكن لا وجود له، من الصعب أن نبحث عنه في القرى المجاورة لذا من الأفضل أن نذهب لسؤال الحاكم..

الجد: هذه الأوراق لطلب المقابلة سوف أقدمها غداً إلى مستشار الحاكم

ـــ هل سوف يتأخر الرد ؟

الجد: لا يا صغيرتي سوف يأتي لنا الرد سريعاً.

ـــحسنا أتمنى أن ..

الجد: ما هذا!!

ـــ يبدو أن عمتي وغفران يتشاجران..

غفران: قلت لكي لا يا أمي لن أقطع علاقتي بها.

= هل ترفعين صوتكِ علي من أجل تلك الفتاة!!

ـــ أنتِ لم تتركي لي خياراً آخر!

الجد: ما الأمر، ماذا يحدث؟!

غفران: إنها أمي يا جدي تريد مني أن أقطع علاقتي بصديقتي سارة

العمة: ألا تعرف أخلاق تلك الفتاة يا أبي!

غفران: قلت لكِ لن أتأثر بأخلاقها ولكن حديثها ممتع ثم إنني أستطيع تغيرها.

الجد: اهدأوا، مودة خذي غفران معكِ إلى الخارج وأنتِ اهدئي يا ابنتي.

ـــ حسنا يا جدي هيا بنا يا غفران.

غفران: أنا لم أقصد أن أرفع صوتي عليها يا مودة ولكنها لم تمنحني فرصة لأشرح لها، تلك الفتاة سيئة أنا أعلم ولكنها تريد أن تتغير وطلبت مني مساعدتها كيف لي أن أرفض ذلك؟

ـــ أتعلمين لقد كنت أتشاجر أنا وأمي كثيراً بسبب أشياء مثل هذه، كنت دائماً أرفع صوتي عليها وأنعتها بعدم فهمي ولكن يتضح لي كل مرة أنها على صواب؛ تنظر للأمور

بنظرة مختلفة، تخشى علي من الهواء الجاف، لذا يا صديقتي أمك هي أعظم نعمة وهبها الله لكِ حافظي عليها، وكوني تحت قدميها تكن لك الجنة ونعيمها.

غفران: أحبها كثيراً يا مودة لكن لا أعلم كيف أتناقش معها وأوضح وجهة نظري..

ــ اتركيها تهدأ قليلاً ثم تحدثا بهدوء، سأذهب لأحضر لكِ بعض الحلوى وكوب شاي لتريحي بالكِ قليلاً مع سرب الأسماك..

= حسنا يا صديقتي.

غفران: سرب الأسماك حقاً يريح البال.

حمزة: نعم هذا صحيح، انظري إلى تلك السمكة كثيرة الحركة إنها تشبهكِ كثيراً.

غفران: متى أتيت لقد أفزعتني!

حمزة: أنا الوحش الشرير قادم لجعلك وجبة عشاء لذيذة!

ــ كُفَّ عن المزاح.

=حسنا، ما بال صغيرتنا الجميلة حزينة!

ــ انظر يا أخي إن أمي لا تفهمني، أعلم أن سارة فتاة ليست جيدة ولكنها تريد التغير هل أتركها؟!

= بالطبع لا ولكن هذا إذا كانت تريد التغير حقاً.

ــ يجب أن تحسنوا النية قليلاً.

= هذا صحيح ولكن يجب أن تتأكدي أولاً لكي لا تخدعك.

ـــ ماذا تخدعني! هل أنا صغيرة؟

= نعم أنتِ صغيرة وثرثارة وغبية أيضاً.

ـــ تتحدث وكأنك ذكي!

= هل تشكين في ذلك؟

ـــ كُفَّ عن الحديث أنت ترفع ضغط دمي.

=لأن كلماتي جميلة لا يستطيع دمك أن يبقى ساكناً حيالها.

ـــ سوف أذهب.

= حسنا سوف أصمت، أعلم أنك تريدين مساعدة تلك الفتاة وترغبين أن تتفهم والدتنا ذلك ولكن عليكِ أنتِ أيضاً أن تستمعي إلى أمي بهدوء.

ـــ ماذا إن لم ترغب في ذلك؟

= سأكون المحامي الخاص بكِ لا تقلقي.

ـــأتعلم! أحبك كثيراً يا أخي.

= وأنا أيضاً بالرغم من ثرثرتك.

كنت أستمع إلى حديثهما من خلف الستار، ما أجمل تلك المشاعر وذلك الحضن الدافئ، من حسن حظ المرء أن يمتلك أخاً بحنان قلب حمزة، أدامه الله لها خير أخٍ وصديق.

ـــ أحم، أحم هل قاطعت حديثكما؟

غفران: بالطبع لا.

ـــإذاً تناولا بعض الحلوى، وأنا سأذهب لأساعد جدتي في ترتيب الزهور.

حمزة: شكرا لكِ يا مودة، وأنتِ هيا بنا لنتحدث مع أمي.

غفران: هيا لنبدأ المعركة.

حمزة: أيتها الغبية ليست معركة.

العمة: أنا جاهزة للمعركة.

غفران: أمي، لا لم أقصد أنها معركة..

العمة: لا بأس استمعي جيداً إلي؛ أولاً: أنا أعرف أنك تريدين مساعدة تلك الفتاة على التغير ثانياً: أعلم أنكِ لم تقصدي رفع صوتكِ علي ثالثاً :أنا أسفة لأني لم أمنحكِ فرصة للشرح..

غفران: بل أنا آسفة يا أمي، أرجوكِ سامحيني.

حمزة: هيا قبلي يديها ورأسها.

غفران (بكل الحب) دنوت على أمي وقبلتها ووضحت لها أني أريد فقط مساعدتها..

العمة: حسنا يا صغيرتي أعلم حسن نيتك لأنكِ ابنتي أعرفكِ جيداً ، هل تعرفين أنتِ تلك الفتاة لتثقي بها بتلك السرعة؟

غفران: في الحقيقة لا يا أمي ولكنها تريد المساعدة.

العمة: قد تكون خدعة لتأخذكِ إلى عالمها.

غفران: ماذا إذا لم تكن خدعة؟ هل أتركها؟

العمة: عليكِ في البداية التأكد أنها ليست خدعة.

غفران: وكيف ذلك؟

العمة: هل طلبت منكِ التعرف على صديقاتكِ؟ هل طلبت حضور المحاضرات ومجالس الذكر معكِ أم فقط طلبت شفقتكِ؟

غفران: في الحقيقة لم تطلب شيئاً من ذلك، فقط أن أكون معها.

حمزة: حتى أنكِ تخليتي عن مجلس الذكر اليوم لتكوني معها.

غفران: كنت أريد فقط أن أشجعها على الطريق الصحيح.

العمة: أعلم ذلك جيداً لكن احذري يا صغيرتي أن تخدعك تلك الفتاة تذكري جيداً أنه لا عيب في أن يكون الإنسان طيب القلب ولكن العيب في أن يكون غبياً ساذجاً وشتان ما بين الطيبة والغباء.

حمزة: إذا كانت تريد حقاً أن تخطو على الطريق الصحيح خذوا بيديها جميعاً وليس أنتِ فقط.

العمة: خذي بيديها أنتِ وصديقاتك لحضور مجالس الذكر والتحفيظ اجعلوها ترى جمال القرآن ولكن جميعاً وليس أنتِ فقط فإذا غفلت إحداكما ذكرتها الأخرى.

حمزة: وإذا استمرت معكم أثبتت حسن نيتها وكنتم لها خير الأصدقاء.

غفران: أعجز عن الكلام إنكم على صواب، أنا آسفة حقاً يا أمي.

العمة: لا بأس يا صغيرتي، تذكروا دائماً يا أولادي حديث الرسول ﷺ :"إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً"،،

اختاروا أصدقاءكم بعناية فتلك اليد التي تمسكون بها قد تأخذكم إلى الهداية وقد ترمي بكم في الهلاك، وتذكروا أن المتحابين في جلال الله يظلون تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، تمسكوا بتلك الصداقة فقط وغير ذلك لا تلقوا له بالاً فالجنة غالية محاطة بالشهوات، السعي إليها بحاجة إلى يد تساندكم وتسير معكم إلى جنات النعيم.

بداية يوم جديد يعني لي الكثير، أمل أنتظره منذ زمن؛ يوقظني من حلمي، يحملني إلى أمي وأبي وإلى كل من أحبهم..

كالعادة ذهب كل منا إلى عمله لكن مع نظرات وأحضان غريبة من عمتي سعاد أعتقد لأن موعد رحيلي اقترب، لقد أحببتهم حقاً وأصبحت جزءاً من عائلتهم لكنها الدنيا لا

تخلو من الفراق، أهديت كل شخصٍ في العمل أساور صغيرة من صنع يدي فقد يكون آخر عهدي بهم اليوم ، خبأت في درجي بعض الأوراق تحمل رسالة وداعي وبعض الخطط لتصاميم لعلها تمنحهم الإلهام في عملهم...

مع ذلك الحماس الممتزج بمرارة الفراق عدت مسرعة لتقديم الطلب مع جدي ولكن عمتي سعاد طلبت منا جميعاً الاجتماع في حديقة المنزل..

الجد: سوف نتأخر يا ابنتي ماذا تريدين الآن ؟

العمة: شيء مهم يا أبي لا يمكن تأجيله.

الجد: حسناً كلنا أذانٌ صاغية.

العمة: أنا أعرف الفتى الذي تبحثون عنه.

ـــ ماذا!

غفران: قلتي تعرفينه !

العمة: لا تقاطعوني أرجوكم.. عندما ذهب أبي للعمل خارج القرية قررت أنا أيضاً المساعدة وبالفعل بدأت العمل وفي يوم ما بينما أستمتع بسرب الأسماك وتراقص الأشجار سقط أحدهم أمامي، كان فتى في سن العشرين يحمل معه طفلاً صغيراً لم يتجاوز السنتين، غاب ذلك الفتى عن الوعي ليومين كاملين، لم أستطع ترك الطفل الصغير في مشفى القرية لذا قررت الاعتناء به وإرضاعه مع طفلي الصغير وبالفعل هذا ما حدث وعندما استيقظ ذلك الفتى حدثنا عن الذي أتى به إلى هنا لقد أتى من نفس عالمكِ يا مودة الفارق هنا أن أبويهما قد فارقا الحياة فنبض قلباهما حزناً وشوقاً ليحملهما

إلى جزيرة الأحلام، أصبح لهذا الفتى منزلاً صغيراً وعملاً مثلكِ تماماً وبقي الطفل الصغير معي أعتني به وأُرضعه، أحببته كثيراً وتعلقت به أصبح بني الذي لم أنجبه، قرر ذلك الفتى السفر إلى العجوز الحكيمة لاكتشاف سر وجوده هنا وكيف يمكن أن يعود إلى عالمه وإلى جده وجدته أغلى ما يملك الآن، حدثته نفس الحديث الذي سمعته منها ولكن الفارق أن الفتى تعلق بفتاة من جزيرتنا ولكن لسوء حظه لم تكن فتاة طيبة بل كانت شخصاً لا يفكر إلا في نفسه، حذرته العجوز من ذلك الحب لكنه لم يصغِ لها ، سكن حبها قلبه كأنه السرطان ينتشر في جميع أنحاء جسده، أخبره الجميع عن خبثها وخداعها ولكنه لم يلقِ بالاً لأحد، أعمى الحب بصيرته وأغلق أبواب قلبه حتى أنه لم يعد يهتم بالعودة إلى أحبته ناهيك عن بعده عن الصغير المسكين، خدعته تلك الفتاة طلبت منه سرقة ذهب الوزير ليكون مهراً لها، خطط وتسلل اعتقد أنه يستطيع فعل أي شيء من أجل حبيبة قلبه ولكن لم يكن يعلم أنها ستكون نهايته، تم القبض عليه.. أصبح سارقاً بسبب فتاة لا تملك في قلبها ذرة حب، عندما علمت بأمر سجنه ذهبَت لزيارته..

اعتقد أنها لن تتركه و ستكون معه تقدم له حياتها ولكن هيهات لأمنيات لا مكان لها في واقع مرير، ألقت بخاتم حبها في وجهه، ودعته بكلمات يكاد القلب ينفطر من سماعها، طعن في قلبه ولم يعد يرى شيئاً، سكن الندم كل خلية في جسده؛ تخلى عن جده، جدته، وأخيه الصغير من أجل فتاة أخذت بيده إلى الجميع، أراد أن يحيا أخوه حياة أفضل من حياته المأساوية.. طلب رؤيتي وعندما التقيت به لم يجد كلمات تسعفه لم يستطع لسانه النطق بكلمه، أعطاني ورقة صغيرة، في الحقيقة أعطاني وصيته:

" السلام عليكم ورحة الله وبركاته..

أشكرك بعدد قطرات المطر، أشكرك بعدد النجوم في السماء، أشكرك بعدد أوراق الشجر، أعلم أنني لا أستحق شفقة أحد فأنا من رميت بنفسي إلى الهلاك ولكن أخي من لم أمنحه ما يمنح الأخ من الحب والقوة والحنان، أخي الذي تركته ولم أبالي به، أخي الذي حرم من حنان أمه وحب أبيه، وصيتي لكم أن تمنحوه الحب والحنان، أن تكونوا له نعم الأهل؛ أم تحبه بصدق، جد ينصحه، جدة تدافع عنه، أخت تمرح معه وتحفظ أسراره وأخ توأم يتمنى الخير له قبل نفسه"..

كانت تلك آخر كلمات ذلك الفتى وجاء لنا خبر وفاته بعد ذلك..

مرت الأيام وكبر الطفل الصغير وكبر حبي له شعرت أنه عوض الله لي بعد وفاة ابني.. ذلك الوقت الذي لم أشعر فيه بأي شيء من حولي أصبح عالمي أسوداً من دون فلذة كبدي لم أفق إلا على أحضان الطفل الصغير، منحته كل شيء يمكن أن تمنحه الأم لولدها أخبرت الجميع أنه ابني، لم يعرف أحد بموت ولدي إلا أمي لذا ظن الجميع أن الطفل الصغير هو صغيري وهكذا مضت الأيام وكبر طفلي أصبح رجلاً كبيراً يعتمد عليه، خشيت أن يعرف الحقيقة فيفارقني ولكن لم يستطع ضميري النوم، لا أستطيع رؤيتك تعانين يا مودة وأنا أحمل الحقيقة بين ثنايا ذاكرتي، ذلك الطفل الصغير هو أنت يا حمزة والفتى الذي تبحثون عنه هو أخوك مُحَمَّد.

حمزة: ماذا تقولين يا أمي !

غفران: هذا مستحيل حمزة أخي من الرضاعة!

ـــ بالتأكيد هناك شيء خاطئ.

العمة: بل هذه الحقيقة التي اخفيتها لسنوات.

الجد: كيف تحملت هذا السر كل تلك المدة !

العمة: حمزة، أين أنت ذاهب؟

الجدة: اتركيه يهدأ قليلاً صعبٌ عليه أن يتقبل الأمر.

غفران: سأذهب لأراه.

الجدة: اهدئي يا ابنتي، لا بأس هذا اليوم كان سيأتي لا محالة.

العمة: أعلم يا أمي ولكن لا أستطيع رؤية حزنه وتحطم قلبه.

الجد: اللهم أنزل الصبر على قلبه.

ذهبت إلى غرفتي لا أعلم ماذا أقول أو ماذا أفعل، حمزة، قلب حمزة هو الذي نبض قلبي من أجله كيف ذلك! تلك القصص لا تحدث إلا في أفلام الخيال لم أتصور يوماً أن أرى تلك القصص بعيني، وماذا عنه الآن هل هو بخير؟ كيف سيتقبل ذلك! مجرد تخيل أني مكانه أشعر بالاختناق، لو أخبرتني عمتي بالأمر قبلهم لمنعتها من قول الحقيقة فذلك الحزن الذي كسى عينيه لا أتحمل وجوده أبداً، اللهم كن معه وامنحه الصبر والرضى.

غفران: حمزة، رد علي هل أنت هنا؟، أعلم أنك هنا.

حمزة: كيف عرفتي مكاني؟

غفران: كيف لي أن أنسى مخبئنا السري ذلك المكان الذي يحمل ذكرياتنا ودموع الفرح والحزن.

حمزة: أرجوكي اتركيني وحيداً.

غفران: في كل مرة يدق الحزن باب قلبك كنت تختبئ هنا وتطلب مني أن أتركك وحيداً.

حمزة: ولكنكِ غبية لم تتركيني يوماً.

ـــ ولا أزال تلك الغبية.

=أرأيتِ ؟! لست أخاكِ.

ـــومن قال ذلك قد يختلف الرحم الذي حملك عن الذي حملني ولكنك أخي الذي تربيت معه، أخي الذي لم يترك يدي يوماً، أخي الذي لو تألمت مرة شعر بالألم ألف مرة، أخي الذي لو خُير يوماً بيني وبين الدنيا لاختارني وترك الدنيا بما فيها، أنت نعمة أرسلها الله لنا يا حمزة؛ ابن بار بأمه، وأخ محب لأخته، وحفيد معين لجده.

= لماذا ؟ لماذا دائماً تستطيعين إخراجي من دائرة الحزن!

ـــ لأني أختك، وأنت أخي العزيز.

= وماذا عن أخيك الذي توفي !

ـــ لله ما أخذ ولله ما أعطى، عوضنا الله بك يا حمزة.

= ماذا عن أخي الذي تخلى عني؟

ـــلم أر شخصاً يترك أغلى ما يمكن أن يملك.. لكنها الدنيا تعمي القلوب بملذاتها، لكن تذكر أنه ندم واستغفر الله على فعلته وترك تلك الوصية لأمي لأنه يحبك كثيراً.

= ماذا عن أمي؟ كيف تحملت ذلك السر وحدها !

ـــألا تعرف أمي يا أخي، أفنت حياتها من أجل سعادتنا كانت لنا أباً وأماً، أتعرف؟ إن كانت تستطيع أن تخبأ الحزن الذي أصاب قلبك في قلبها لحملته ومنحتك السعادة.

= وماذا منحتها أنا ؟

ـــوجودك بجانبها بلا أحزان هو سعادة الكون بالنسبة إليها، قربك منها، برك بها، قبلاتك في الصباح مع ابتسامة روحك كل ذلك يجمل أيامها ويسعد روحها.

=ماذا عن جدي وجدتي الذين شهدوا جميع مراحل حياتي وهؤلاء الذين لم أعرف بوجودهم إلا اليوم؟

ـــجدي وجدتي؛ كونك سعيداً هو فقط ما يريدون أما جدك وجدتك في المدينة البعيدة أعتقد أن الحزن يسود قلوبهم لفقدك قد تكون مودة هنا من أجل ما قاسوه من بعد كل تلك السنوات.

= ماذا عن..

ـــانتظر أريد أن أسألك.

= تفضلي.

ـــ ماذا عن مودة هل تحبها؟

= ماذا! في الحقيقة أنا، لا أقصد..

ـــلا داعي لتجيب فقد عرفت الاجابة وكنت أعلم منذ مدة أيها الغبي.

= حسنا أيتها الذكية على أية حال لا أستطيع تركك والذهاب.

ـــ ولكنك يجب أن تتزوج وتنجب أطفالاً يشبهونني.

= يمكنني أن أختار شخصاً أقضي الحياة معه هنا لا يجب أن أبتعد عنكم.

ـــ ولكن قلبك اختار بالفعل يا حمزة.

= إذاً هل تطلبين مني الرحيل !

ـــ إذا كانت سعادتك هناك فلا بأس بالبعد.

= إذاً لماذا تبكين الآن؟

ـــ لا لا أنا لا أبكي يبدو أن هناك شيء دخل عيني.

= إذاً أريني عينيكِ.

ـــحسنا أنا لا أستطيع تحمل البعد عنك يا أخي ولكني أريد سعادتك.

= تعالي لاحتضنكِ، لا تقلقي يا أختي بالتأكيد سنجد طريقه لنبقى جميعاً معاً.

ظل أخي يربت على رأسي حتى توقفت دموعي، إنها الحقيقة لا أعلم كيف سأتحمل البعد عنه، اللهم اكتب لنا الخير وارزقنا الصبر على ما يؤلم أرواحنا..

عدنا إلى المنزل ولكن الجميع نائم يبدو أنهم منحوني وقتاً لتقبل الأم، قبلت رأس غفران وطلبت منها أن تخلد للنوم ولا تفكر كثيراً وبقيت أنا مستيقظاً تائهاً لا أعرف ماذا أفعل حتى أبصرت عيناي نملة صغيرة تسير على النافذة تحمل بقايا طعاماً لا يكاد يرى، رأت عيناي هذه النملة وأبصر قلبي الحكمة؛ من رزق هذه النملة و يعلم حالها قادر على محو حزني وتيسير حالي ومنحي الحكمة لأحسن الاختيار، قمت فتوضأت وتلوت آيات تثلج القلب وتهدئ الروح وأحييت روحي بقيام الليل...

كان نومي متقطعاً بالأمس لم يتوقف عقلي عن التفكير، لا أعلم ماذا أفعل! لا أريد أن يحزن أحد، تألمني رؤية دموعهم وانكسار قلوبهم لا أريد أن أودعهم وهم هكذا مهما حاولوا إخفاء حزنهم من أجلي يمكنني الشعور به، الإفطار اليوم كان صامتاً لا روح تملؤه نشاطاً وحيوية، عمتي لا تستطيع النظر في عيني حمزة، وحمزة لا يعرف ماذا يقول! جدتي وجدي عجزوا عن تغيير الجو بالرغم من محاولتهم، غفران في عالم آخر لا تعلم كيف تتقبل رحيل أخيها، الجو ثقيل حتى الأسماك تشعر بحزن هذا المنزل؛ ذلك السرب الذي لطالما أسرعت لأتأمله لم يتحرك اليوم سريعاً كأنه يحاول التخفيف عنا..

أتذكر عندما وصلت هنا لم يتقبلني أحد غيرهم لم يستمع لقصتي إلا هم، هم من استقبلوني في بيتهم، هم من جعلوني جزءاً من عائلتهم فقط هم، فكيف لي أن أقابل كل ذلك بالسفر بعيداً عنهم مع من يسكن قلوبهم تاركتاً لهم الحزن والألم، أشتاق لأهلي ولكني لن أظلمهم معي، بالتأكيد يشتاق جد وجدة حمزة إليه ولكنهم لم يروا كيف هو متعلق بعائلته، أقسم أنهم لو رأوا هذا الحب لتركوه يحيا سعيداً معهم، فكيف لي أن

أحرمه من هذا الحب! نعم لا أنكر نبض قلبي له ولم ينبض يوماً لأحد ولكن من ذاق الحب ضحى من أجل سعادة أحبته..

قررت أن أذهب وأتركهم لن أواجه أحداً، لن أخبر أحداً بما سأفعل، لو عرفوا ما قررت لما تركوني أبداً لذا سأترك لهم أصدق الحروف..

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام على من ملك قلبي، السلام على من أكرموني ولم يخذلوني يوماً، السلام على أجمل البشر وأطيب الخلق، سلاماً بحروف الحب ومشاعر الامتنان،،

أما بعد؛

أي قسوة قلبٍ يمكن أن أملك لأفرق من سكن حبهم قلبي عن بعضهم البعض! أي قلبٍ يستطيع أن يحرم أماً من روحها! أي قلبٍ يمكن أن يفرق توأماً عن أخيه! أي قلبٍ يمكن أن يبقى سعيداً ويملأ قلوب أحبته حزناً!..

أحبكم يا من كنتم أهلي في غربتي، أحبكم ولا أحزن إن ضحيت من أجلكم لا تقلقوا سأجد طريقة، بالتأكيد يوجد طريقة أخرى لأعود إلى مدينتي.. أعتذر منكم لا أستطيع أن أقول لكم هذه الكلمات وجهاً لوجه ولكن كلام القلم هو أصدق الكلام، طلبت من زميلتي في العمل أن توصل لكم هذه الرسالة، لا تبحثوا عني فأنا مضيت منذ زمن، أعتقد أن الرسالة ستصلكم وأنا على حدود القرية..

أشكركم على كل شيء لا أعلم إن كان الشكر يكفي أم لا ولكن أصبحتم عائلتي وستظلون، ستظلون في قلبي لن أنساكم، سأدعو لكم، وسأتحدث عنكم دائما..

وأخيراً إن كتب الله لنا لقاءً آخراً فأتمنى أن يكون لقاء خيرٍ.. دمتم لي أفضل عائلة دمتم بخير وسعادة".

غفران: هل ذهبت حقا؟!

حمزة: لا يمكن أن نتركها.

الجدة: إن كان هناك طريقة فلنجدها معاً، لماذا ذهبت !

العمة: يجب أن نعثر عليها.

الجد: نعم هيا يا حمزة فنحاول اللحاق بها.

غفران: سأذهب معكم وأنتِ ابقي هنا مع جدتي يا أمي.

مضينا نبحث عن مودة في كل مكان حتى إننا وصلنا إلى الحدود في وقت أسرع مما نتوقع ولكن بلا فائدة كأن الأرض انشقت وابتلعتها وعدنا أدراجنا نأخذ بعض الأمتعة التي سنحتاجها في طريق السفر على أمل أن تكون مودة قررت أن ترتاح قليلاً في إحدى القرى المجاورة قبل الابتعاد أكثر عن بلدتنا..

أعلم أنهم سيبحثون عني لذا لا يجب أن أتوقف أبداً مهما بلغت من التعب، أخاف الظلام ولكن يجب على الإنسان أن يواجه ما يخاف، لا أعرف ما ينتظرني ولا اعرف إلى أين يجب أن أذهب لكن الطريق الوحيد الذي أعرفه هو الخريطة التي أهدتني إياها خالتي سلوى ولم أجد الوقت لأخبرهم عنها؛ تلك الخريطة التي ترسم الطريق إلى قمة جبل الجليد في أخر هذه القرية، كنت أسير بمحاذاة الأسماك انظر إليهم وأبتسم لهم خففوا عني وحدتي إلى أن وصلت، ودعت الأسماك وتسلقت جبل الجليد، لا أعلم

أيمكنني أن أطلق عليه اسم جبل أم ماذا! علو شاهق، سلالم على جانب الجبل توصلك إلى القمة بسهولة، وزخارف تجعل الجبل أجمل لوحة فنية يمكن أن تراها في حياتك، أزهار النرجس الأبيض تلك التي تعني الحب، وأوراق أشجار لا أعلم من أين تأتي تعزف مقطوعة سنفونية كأنها موسيقار يعرف أين يضع الإيقاع، كلما أقترب أكثر كلما يظهر ضوء القمر الخافت، امتلكت الشجاعة لأنظر إلى الأسفل لا أعلم كيف قطعت تلك المسافة بتلك السرعة ولكن يالجمال هذه الجزيرة كل شيء مصمم بإتقان ولكن لماذا! لماذا ينتابني هذا الشعور! كأن هذا العالم هو مشاعر قلبي التي لم ينطق بها لساني يوماً، الحب وذلك الدفء أشياء لطالما تمنيتها، تلك الزهور والأشجار، ذلك النهر والأسماك، تغريد العصافير وصياح الديك كلها أشياء تمنى قلبي أن يستمتع بوجودها ولكني لطالما لم أمنحه الفرصة خشيت فقد حلمي والتعلق بتلك الأشياء لم أترك لنفسي وقتاً لأحيا حياةً طبيعة وأستمتع بهذا الكون، وصلت إلى تلك البوابة مرة أخرى قد يكون هناك سر آخر لها لم أكتشفه تلك الليلة، فتحت البوابة معي بسهولة ولكن لن تصدقوا ما رأيت حتى أنا لا أصدق ذلك؛ لوحة فنية وليست أي لوحة، أمي أبي أنا ومنزلنا رسمنا بأجمل الفرش وبواسطة فنان عظيم وبينما أنا مندهشة لمست تلك اللوحة ليفتح بابٌ سري يخرج منهم رجلٌ عجوز سألته من أنت؟

الرجل: أنا حاكم هذه الجزيرة.

ـــ أنت هو الحاكم؟

= نعم أيتها الفتاة.

ـــ هل تعرف كيف أخرج من جزيرتكم؟

= ومتى كنتِ محجوزة هنا لتبحثي عن الخروج !

ـــ ماذا تقصد؟

= أقصد أنكِ بمجرد أن تفتحي عينيك سوف تخرجين.

ـــ م... ماذا! هل هذا مجرد حلم؟ بالتأكيد تمزح معي؟

= لماذا أمزح معكِ؟

ـــ إذاً لماذا أنا هنا؟

= أيتها الفتاة أنتِ فقط من تملكين إجابة هذا السؤال ، انظري جيداً إلى قلبك، هل كان ينبض؟ هل أحب يوماً؟ هل اهتم بمن يحب؟ وأعطى بدون مقابل أم أنه دائماً انتظر المقابل، انظري حولك هل منحتي فرصة لنفسك لتستمتع بنسيم الليل أو ضوء القمر، شروق الشمس، تغريد العصافير، الخريف والربيع وكل شيء؟!.. أم أنكِ وضعتِ نفسك في قوقعة لا تستطيعين النظر خارجها؟

هذا العالم من صنع نفسك التي فقدت كل شيء وأقنعت عقلك ليأخذ تلك اللعبة وسيلة يرسم بها أحلامها وما تتمنى.

ـــ وماذا يجب أن أفعل؟

= لقد انتهت رحلتكِ هنا لم تعد نفسكِ تريد شيئاً لقد تخلت عن هذا العالم من أجل من تحب.

ـــ هل كل شيء سينتهي حقاً.. هل سوف أستيقظ؟

= بالتأكيد ولكن نصيحتي لكِ أيتها الفتاة أن تمنحي نفسكِ بعض الخلوة تبتعدين فيها عن متاعب الحياة وتستمتعين بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى وتفكرين بهدوء فيما هو قادم وما يجب عليكِ فعله، رتبي أولوياتكِ ولا تقسي على نفسك وتحرميها من أبسط حقوقها.

ـــ لا أعلم ماذا تحتاج نفسي؟

= ابحثي عن الجواب في قلبك، لا وقت لدي الآن أتمنى أن تجدي هذا الجواب، الوداع أيتها الفتاة.

## النهاية...

قد لا تروق النهاية للكثير.. وأرى السؤال في أعينكم ماذا تقولين؟ كيف يمكن أن يكون كل هذا حلم هل تمزحين؟

يؤسفني أن أقول لكم بالطبع لا أمزح كل ما مرت به مودة هو مجرد حلم جميل، تتساءلون لماذا فعلت ذلك؟

لأنها أحلامنا كم حلمنا بحياة تملأها المغامرات بدلاً من الحياة الروتينية الكئيبة! كم تمنينا أن نملك الشجاعة لنعترف بأخطائنا بدلا من الهرب من المواجهة! كم تمنينا أن نملك يقين يريح قلوبنا ويهدئ نفوسنا بدلاً من كلمة لو التي نرددها كلما أصابنا السوء! كم تمنينا عالماً يسوده الحب والخير لا مكان للغيرة والحقد فيه! كم تمنينا أن نملك الحب برغم من قربه منا وبعدنا عنه! كم من النعم حولنا ولكننا غفلنا عنها ولمَ؟! لأننا لم نبصرها يوماً بل نبحث فقط عن المزيد والمزيد من ملذات دنيا فانية فلا يسكن الرضى قوبنا..

إنها أحلامنا تسكن قلوبنا لكن يمكن أن يتحول الحلم إلى حقيقة فقط بنية صادقة وهمة عالية.